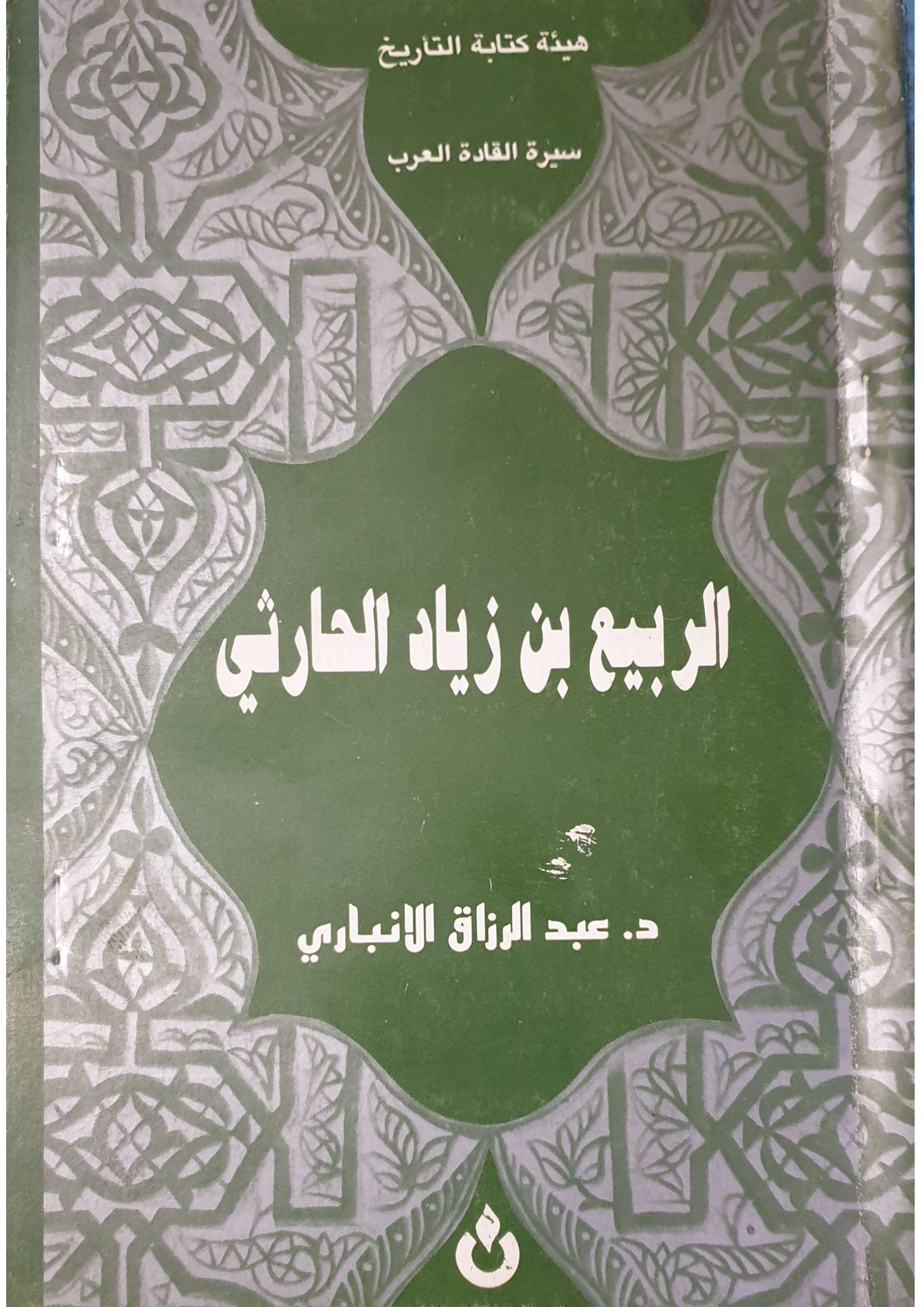

هيئة كتابة التأريخ
سيرة القادة العرب
الربيع بن زياد الحارثي
د. عبد الرزاق الانباري

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
في 19 / شوال / 1443 هـ
في 20 / 05 / 2022 م هـ

سرمد حاتم شكر السامرائي

م. سرمد حاتم شكر

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

الطبعة الاولى ١٩٩٠ ـ بغداد

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة . « آفاق عربية »
رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان ـ بغداد ـ اعظمية
ص.ب. ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

هيئة كتابة التاريخ

الموسوعة التاريخية الميسرة من سيرة القادة العرب الذين اسهموا في بناء الدولة العربية الاسلامية

الربيع بن زياد الحارثي

الدكتور

عبدالرزاق الانباري

الطبعة الاولى ١٩٩٠ ـ بغداد

فهرس المحتويات

الربيع بن زياد الحارثي

هو الربيع بن زياد بن أنس بن الديان، وهو يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعه بن كعب بن الحارث بن كعب من مذحج[1].

ومذحج ، من القبائل العربية، اليمانية لها مكانة ، وقوة في تاريخ الامة، منها سعد العشيرة بن مذحج، وانما سمي سعد العشيرة لأنه كان يركب من ولده لصلبه ثلاثمائة فارس، فاذا سئل من هؤلاء معك؟ قال: عشيرتي؟ مخافة الحسد[2].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبير، ج٦، ص١١٠ .
ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص ١٣٠ .
ابن حجر ، كتاب الاصابة في تمييز الصحابة ج١، ص ٥٠٤ .
ابن الاثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج٢، ص ٢٠٦ .
البلاذري، فتوح البلدان ٣/٥٠٧ .

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص ٢٤١٧ (بنو الحارث) ص ٤٠٥ (بنو مالك بن ادد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن زيد ابن كهلان بن سبأ، وهو مذحج.. ياقوت، المقتضب ٨٥. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٢، ص ٢٠٦ .

ولد الربيع في الحجاز، من قبيلة مذحج، حوالي سنة ٢٧ قبل هجرة الرسول[٣] محمد (ص) الى يثرب . ولد قبل الاسلام. ثم أدرك الاسلام، فأسلم.

وقد وصف بأنه «رجل أبيض خفيف اللحم خفيف الجسم»[٤] خيّر متواضع[٥] آدم، أفوه طويل ، مهيب[٦].

العصر الذي ظهر فيه الربيع بن زياد الحارثي

ولد الربيع قبيل الاسلام ، في عصر انحطاط الوثنية ، وظهور تيارات التوحيد في الجزيرة العربية ونحن تتبين من الآيات الاولى في القرآن، ان هذه الآيات نزلت لقوم يعتقدون بالله، وتوحي لنا آية « رب هذا البيت»[٧] (أي الكعبة في سورة قريش أن الطبقة المستنيرة من المكيين كانوا يعدون أنفسهم يعبدون الله في هذا المكان. ولا شك في ان بذور التوحيد عند العرب قد ظهرت قبيل الاسلام ، فالارض العربية، أرض الرسالات السماوية ، وقد أكد القرآن في أكثر من آية رسوخ التوحيد، توحيد ابراهيم،

---

(٣) خطاب، قادة فتح بلاد فارس، ص ١٦٥ . (محمود شيت خطاب

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى ٦/١١٠ .

(٥) اسد الغابة ٢/٢٠٦ .

(٦) البلاذري، فتوح البلدان/٤٨٥ .

(٧) والآية : «فليعبدوا رب هذا البيت» قريش/٣ .

عند العرب « ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل»[٨] و «ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين»[٩].

الحقيقة، لا المسيحية، ولا اليهودية نجحتا في احتواء العقلية العربية، فالعقلية العربية اتجهت نحو التوحيد ،باتجاه الحنيفية[١٠]، دين ابراهيم الحنيف[١١] والحنيف: المخلص الذي أسلم لأمر الله فلم يلتو في شيء من دينه، وجمعه حنفاء «حنفاء لله غير مشركين به»[١٢] «قل بل ملة ابراهيم حنيفا»[*] وقد سئل الرسول محمد (ص) عن اصل دعوته فقال : الحنيفية ملة ابيكم ابراهيم، جئت بها بيضاء نقيه[١٣].

واذا كانت الحنيفية احدى التيارات الاساسية التي شكلت وكونت اتجاهات العصر، فان العصبية القبلية كانت بدورها تمسك بالكيان الاجتماعي للجزيرة العربية ، وأهمية العصبية القبلية ازدادت بدون شك بسبب ظروف الحياة في

---

(٨) بول، حنيف، ٨/١٣٠ . دائرة المعارف الاسلامية.
(٩) د. سعاد الحكيم، المعجم الصوفي ص٢٩. مادة: ابراهيم.
(١٠) الحج/٣١ .
(١١) البقرة/١٣٥ . جول لابوم، تفصيل آيات القرآن الحكيم ص ٤٦٩ .
(١٢) الحج/٧٨ . (*) آل عمران/٦٨ .
(١٣) السهيلي، الروض الآنف، ٢/١٢٠ .

الصحراء• كانت كل قبيلة كبيرة مستقلة لا تعترف بأية سلطة سياسية عليا، ويمكنها ان تجد نفسها، في كل لحظة ـ وهذا ما كان يقع ـ في حرب مع اية قبيلة مجاورة • وتتعلق سلامة القبيلة، في هذه الظروف:، على قوتها الحربية•

تقوم القبيلة على القرابة المنحدرة عن الأب وان كانت العائلات والأفراد تربطهم غالبا علاقات خاصة مع الاقارب المتحدرين من ناحية الأم• وكان يوجد الى جانب الانتماء القبلي الصميم، (الحلف) و(الجوار) وكان الحليف والجار يعاملان على أنهما أفراد من القبيلة أو الحي•

واذا كانت القبيلة أو الحلف يكونان أسمى وحدة سياسية فاننا ندرك أيضاً ان العرب كانوا يكونون نوعاً من الوحدة • وكانت هذه الوحدة تقوم على اللغة[15] (على الرغم من اللهجات القبلية) وعلى تقليد شعري مشترك، وعلى بعض العادات والافكار المشتركة ، وعلى الاصل المشترك ، ولا شك في ان اللغة كانت الاساس الاصلي للتمييز بين العرب وغيرهم وكانت فيافي الجزيرة العربية

---

(١٤) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص ٧ .

(١٥) د. عبدالعزيز الدوري ،التكوين التاريخي للأمة العربية، ص ٥١ . وقارن هذا بـ: د. الجابري، بنية العقل العربي، ص ٣٦ وما بعدها.

الاساس الجغرافي لهذه الوحدة، ولهذا فان كلمة (عرب)[١٦] تعني سكان «جزيرة العرب»[١٧] ويرجع أصلهم المشترك الى أحد الجدين: عدنان أو قحطان، وان وجود الاعتقاد بالاصل الواحد، يدل على الاعتراف بالوحدة وقد ازداد الشعور عند العرب بأنهم شعب واحد، وانهم يمتازون بذلك عن سائر الشعوب خلال المرحلة، التي ظهر فيها الاسلام، بنبوة محمد، والاسلام في الاصل كما نص القرآن، وكما خوطِب الرسول «وانه لذكر لك ولقومك»[١٨].

في هذا العصر ، عصر نبوة محمد، أخذت شخصية الحارث بالاتجاه نحو النضج، فأسلم، وعُد من خيرة المسلمين. واكتمل نضجه، ووعيه السياسي في عهد عمر بن الخطاب، مهندس الدولة العربية وباني مجدها.

كانت الامبراطورية الساسانية والبيزنطية ، اكبر قوتين على المسرح الدولي، قبل الاسلام، وتوفي الرسول ، وهو يخطط لتوجيه ضربة عسكرية قوية، للفرس والروم :، تحطم

---

(١٦) لسان العرب ٥٨٧/٢٢ . (عرب) «وكل من سكن بلاد العرب وجزيرتها، ونطق بلسان اهلها فهم عرب».

(١٧) الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار ١٦٣ (جزيرة العرب).

(١٨) الزخرف/٤٤. معجم الفاظ القرآن الكريم/٢٢٠ (ذكر) وقوله تعالى: «كما أرسلنا فيكم رسولا منكم» البقرة ١٥١» من العرب تفسير النسفي ٨٣/١ .

الهيمنة السياسية لهما على تخوم الجزيرة العربية ، وتخطيطه هذا، وضع موضع التطبيق العملي والفعلي في خـلافة أبي بكر الصديق (١١ــ١٣ هـ) وفي خـلافة عمر بن الخطـاب (١٣ــ٢٣ هـ) في هذه الحقبة من الزمن، الغى الفاروق من الخارطة السياسيـة للعـالم شيئا اسمـه (الامبراطوريـة الساسانية) وجعل الامبراطوريـة البيزنطية تتراجع عن كل الاراضي العربية التي احتلتها، وتتخذ موقع الدفاع والتراجع نحو القسطنطينية[١٩]. في بضعة اعوام نجحت عبقرية عمر بن الخطاب، ومقدرته الحربية والسياسية ، على تحطيم أكبر امبراطوريتين في العالم، فأي رحم أمة أنجب عمر بن الخطاب.

كان الربيع بن زياد الحارثي، من الشخصيات المقربة الى عمر بن الخطاب، كيف لا وهو القائل:

« اني لأعلم متى تهلك العرب، اذا ساسها من لم يدرك الجاهلية فيأخذ بأخلاقهـا، ولـم يدركه الاسلام فيقـذه الورع »[٢٠].

جمـع الربيع بن زياد الحارثي بين مـروءة العرب في الجاهلية وتقواهم في الاسلام، وهو الذي قال فيه عمر بن الخطاب:

---

(١٩) راجع: ڤازيليف، العرب والروم، ص ٧ وما بعدها.
(٢٠) لسان العرب ٣/٥١٩ .

« دلوني على رجل اذا كان في
القوم أميراً، فكأنه ليس بأمير
واذا كان في القوم وليس بأمير
فكأنه أمير بعينه.
فقالوا: ما نعرف الا الربيع بن
زياد الحارثي
قال: صدقتم. وكان خيراً متواضعاً»

ولابد أن تكون عوامل كثيرة كونت شخصية الربيع اللامعة المتميزة، وجعلتها موضع اجماع الناس على احترامها، ولعل من هذه العوامل تمسك الربيع بمبادئه، واستعداده الكامل للتضحية من أجلها، واعلانه قولة الحق مهما كانت الظروف والاحوال. فلننظر كيف وازن الربيع بن زياد بين نسيج أخلاقه وتربية عصره، وبين المهمات والمسؤوليات التي أنيطت به.

توليه ادارة شؤون البحرين

البحرين: مجموعة من الجزر بالقرب من الشاطىء الغربي للخليج العربي على خط عرض ٢٦ شمالا، واكبرها جزيرة البحرين ويطلق عليها اسم أوال، ويبلغ طول هذه

---

(٢١) أسد الغابة ٢/٢٠٦ .

الجزيرة ثلاثين ميلا وعرضها اثنى عشر ميلا . واعظم مدنها وثغورها منامة(٢٢).

وكانت ارض البحرين ، بها كثير من العرب من عبدالقيس وبكر بن وائل وتميم مقيمين في باديتها . وكان على العرب بها على عهد رسول الله المنذر بن ساوى . فلما كانت سنة ثمان وجه رسول الله العلاء بن عبدالله بن عماد الحضرمي، الى البحرين ليدعو أهلها الى الاسلام، فأسلم « جميع العرب هناك »(٢٣) ومكث العلاء على ولاية البحرين الى خلافة عمر بن الخطاب، الذي عين أبا موسى الاشعري أميراً على مصر(٢٤) البحرين ، وكان الربيع بن زياد الحارثي أحد عماله.

والظاهر ان ادارة شؤون البحرين كانت موضع قلق عمر بن الخطاب، فاستدعى الامير (الاشعري) ومعه جميع عماله، لتدارس اوضاع البحرين، ويبدو ان هذا الاجتماع، كان أول لقاء للربيع مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ،

---

(٢٢) أويسترب، البحرين، ٣/٣٩٢، دائرة المعارف الاسلامية وراجع ايضا: الدراسة الرصينة للدكتور عبدالرحمن العاني البحرين في صدر الاسلام (بغداد ـ ١٩٧٥م).

(٢٣) البلاذري، فتوح البلدان، ١/٩٥ .

(٢٤) المصر في الاصل الحد بين الشيئين، ثم صار المصطلح يعني البلد العظيم، حيث مقر الامير، والامصار سبعة (معجم البلدان، ١/٤٢ .

حيث نال اعجابه ورضاه، يحدثنا الربيع : كنت عاملا لأبي موسى الاشعري على البحرين، فكتب اليه عمر بن الخطاب يأمره بالقدوم عليه هو وعماله، وان يستخلفوا من هو من ثقاتهم حتى يرجعوا. فلما قدمنا أتيت يرفأ، فقلت: أخبرني أي الهيئـات أحب الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله ؟ فأومأ الى الخشونة. فأتخذت خُفين مُطـارقين، ولبست جبة صوف، ولفت رأسي بعمامة دكنـاء. ثم دخلنـا على عمر، فصفنا بين يديه وصعد فينا نظره وصوب، فلم تأخذ عينه أحداً غيري، فدعاني فقال: من أنت؟ قلت: الربيع بن زياد الحارثي.

قال: وما تتولى من أعمالنا؟

قلت: البحرين.

قال: فكم تُرزق؟

قلت : خمسة دراهم في كل يوم.

قال: كَثير: فما تصنع بها؟

قلت: أتقوت منها شيئاً وأسود بباقيها على أقـارب لي فما فضل منها على فقراء المسلمين.

فقال: لا بأس. كم سِنوك؟

فقلت: ثلاث واربعون سنة.

قال: الآن حين استحكمت. ثم دعا بالطعام، وأصحابي حديثو عهد بلين العيش، وقد تجوعت له، فأتى بخبز يابس،

وأكسار بعير، فجعل أصحابي يعافون ذلك، وجعلت آكل فأجيد الأكل. فنظرت فاذا به يلحظني من بينهم. ثم سبقت مني كلمة تمنيت أني سخت في الارض ولم الفظ بها، فقلت: يا أمير المؤمنين، ان الناس يحتاجون الى صلاحك، فلو عمدت الى طعام هو ألين من هذا؟ فزجرني وقال: كيف قلت؟ قلت: أقول: لو نظرت يا أمير المؤمنين الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل ارادتك اياه بيوم، ويطبخ لك اللحم كذلك، فتؤتى بالخبز ليناً وباللحم غريضا.

قال: هذا قصدت؟ قلت: نعم

قال: يا ربيع انا لو نشاء لملأنا هذه الرحاب من صلائق، وسبائك وصناب[٢٥]، ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم شهواتهم فقال: «أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها»[٢٦] ثم أمر أبا موسى أن يقرني على عملي وأن يستبدل بأصحابي[٢٧].

انضم الربيع بن زياد الحارثي، منذ هذا الاجتماع، الى مدرسة عمر في ادارة شؤون الدولة، وتنظيم عمل

---

(٢٥) قوله: صلائق، هو شيء يعمل من اللحم. وقوله: غريضا يعني طريا. وقوله: سبائك، يريد الحواري من الخبز (الرقاق).

(٢٦) الاحقاق/ ٢٠.

(٢٧) العقد الفريد ١/١٥-١٦.

الولايات، وسنرى أثر هذه المدرسة في سيرة حياته الادارية اللاحقة، لهذه المرحلة، ونقصد بها توليه الامارة في العهد الاموي، فقد أبى الا أن يطبق وينهج نهج عمر في الادارة، وفي رعاية مصالح الناس بغض النظر عما يرتئيه السلطان!

الربيع بن زياد الحارثي «القائد العسكري المحنك».

ان دراسة شخصية الربيع بن زياد الحارثي كقائد عسكري فذ لا تتم بمعزل عن دراسة الجيش الذي أنجب وربى هذه القيادة ، هذا الجيش أنجز معجزة عسكرية، في تحرير الارض العربية كافة اولا، واسقاط أكبر قوةعسكرية غاشمة ثانياً، وكسب ود ومحبة كل الشعوب التي تعامل معها ثالثاً. هذه ليست مسألة بسيطة، ولم يتحققها أي جيش في العصر الوسيط وقد حاول اشبنگلر، تفسير هذه المعجزة فقال: هؤلاء العرب، أمة من القديسين هيأ الله لهم أن يحكموا العالم[٢٨]. وقبل اشبنكلر وصفهم أحد قادة فارس: انما نقاتل قوماً منصورين الله معهم[٢٩].

وأشار أحد قادة الروم الى الجند العرب ، وانتصاراتهم فقال : «الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا، وذلك أنهم قوم

---

(٢٨) تدهور حضارة الغرب ٢/٤٤٧ .
(٢٩) الطبري ٣/١٤٠ .

الموت أحب الى أحدهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو متقتل ... ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة»[٣٠].

لقد انهارت جيوش اكبر امبراطوريتين[٣١] أمامه بما يشبه الاسطورة الحربية، في تاريخ الحروب ، والسبب ان العرب لم يتميزوا بأسلحة فائقة في ميادين القتال، كما انهم لم يتميزوا بتعبئة عسكرية معقدة. كانت قوة العرب كامنة في موقعهم المركزي الذي كان يتوسط مختلف الجبهات التي أداروا رحى الحرب على أرضها، وهي كامنة أيضا في استعداد جيوشهم استعدادا مستمرا للقتال مع الايمان الصادق بسمو أهدافهم وعدالتها.

ان عظمة الجيش العربي لم تقم على قوة السلاح أو دقة التنظيم، بل كانت ثمرة القوة المعنوية الروحية التي كان الايمان قد عززها في نفسه، ووليدة الصبر على التدريب والمثابرة عليه خصلتان تمنحهما البادية لابنائها باستمرار، ونتيجة سرعة حركته العجيبة التي هيأها للعرب اعتمادهم على الابل، والخيل. لقد جاءوا بنمط من القتال لم يألفه العدو.

---

(٣٠) ابن عبدالحكم، فتوح مصر واخبارها/٧١ .
(٣١) هـ. ج. ولز، موجز تاريخ العالم، ص ٢٠١ . وليام لانجر، موسوعة تاريخ العالم ٥١٢/٢ .

ولا ننسى ان جيشاً بهذه العظمة، يتفاعل كحالةواحدة، مع قادته، فلابد لهؤلاء القـادة أن يرتفعوا وينسجموا مع طموحات مثل هذا الجيش، لقـد كان القـائد العسكري الربيع بن زياد الحارثي، من القادة الاكفاء الذين، استوعبوا روح العصر، وروح الجيش الذي قادوه، فكانوا معه حالة واحدة.

ان أهميـة القـائد الحارثي، لا تكمن في تحرير بيروذ، ومناذر، وخراسان، وسجستان ، هذه المنـاطق الوعـرة في طبيعة جغرافيتها والمعقدة في تركيبها الديموغرافي، انها تكمن في خطوته الجريئة التي ادرك من خلالها اهمية رفد قطعات الجيش باستمرار، بكتائب من العرب، فالتطـور العسكري الجديد، لابد من معالجته بأساليب جديدة، لقد ابتعـدت القطعات العسكرية كثيرا عن المركز، وصار تموينهاوتغذيتها من الصعوبة بمكان فما العمل اذن؟ لقد اشرف بنفسه على عملية مهمة في تعريب المنطقة، منطقـة خراسان، فنقل لهـا آلافاً من الاسر العربية لتكون، الاحتياط المستمر، المتواجد قريبا من ساحة العمليات. والمستعد على تغذيتها باستمرار، هذه العملية الجريئة ، والمدروسة، سبقت عملية عبدالملك بن مروان بتعريبه النقود والدواوين بسنين. ولاشك عندي ان تعريب الربيع بن زياد الحارثي كان اكثر صعوبة وتعقيداً على صعيد التطبيق، العملي من تعريب عبدالملك.

سأتناول اولا تحرير بيروذ، ومناذر، لأنتقل بعدئذ الى دراسة ومعالجات الربيع لموضوع خراسان، ونقله العرب لها، وأثر ذلك على مجريات الاحداث.

فتح بيروذ ناحية من نواحي الأحواز

الأحواز اسم للكورة(٣٢) بأسرها، وأما البلد(٣٣) الذي يغلب عليه هذا الاسم عند الناس فانما هو سوق الاحواز وهي سبع كور بين البصره وفارس هي: سوق الاحواز، وراء هرمز، وايذج وعسكر مكرم وتستر وجنديسابور وسوس، وسُرق، ونهر تيري ومناذر ، يحدها العراق من الناحية الغربية ، ويحدها من الشرق والجنوب بلاد فارس ويحدها من الشمال اقليم الجبال وخاصة الجزء المعروف منه اليوم بلورستان.

وكانت عاصمة الاحواز تسمى سوق الاحواز ، ثم سميت الاحواز على سبيل الاختصار . وهي على خط عرض ١٩َ ٣١° شمالا وخط طول ٤٦َ ٤٨° شرقي كرينش على نهر دجيل. والنهر عند اقترابه من مدينة الاحواز غير صالح للملاحة لما يعترضه من مساقط مائية، وعلى الرغم من هذا فان للاحواز شأناً هاماً من الوجهة الحربية والتجارية.(٣٥) وحافظت

---

(٣٢) ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٤٢ .

(٣٣-٣٤) ياقوت، معجم البلدان ٢٨٤/١ وما بعدها. كتاب المشترك وضعا والمفترق صقعاً، ص ١٦٤ .

(٣٥) سترك، اهواز، ١١٠/٣ . دائرة المعارف الاسلامية .

الاحواز أيام الفتح العربي على ما كان لها من شأن وظلت مركزاً تجارياً هاماً[٣٦].

بيروذ

بيروذ ناحية بين الاحواز ومدينة الطيب، وهي كبيرة بها نخل كثير حتى انهم يسمونها البصرة الصغرى، ويذكر: انها كانت قصبة كورة قديماً[٣٧].

فتح بيروذ

كان عمر بن الخطاب قد عهد الى أبي موسى الاشعري أن يسير بجنده متغلغلا في أرض الاحواز[٣٨]، وذلك لحماية منطقة البصرة من تحرشات الفرس وغدرهم أولا، ولكي لا يؤتى العرب المسلمون من خلفهم ثانياً، وحتى لا تكون ناحية الاحواز ميداناً لتحشد الجيوش الفارسية وحلفائهم مما يهدد سلامة العراق ثالثا[٣٩].

لكن أبا موسى الاشعري أبطأ في ارسال جيوشه الى كور الاحواز، فلما وصلت خيوله الى تلك المنطقة كان

---

(٣٦) راجع دراسة:
(٣٧) معجم البلدان، ١/٥٢٦ .
(٣٨) راجع: الطبري ٤/١٨٣ حوادث سنة ٢٣. قادة فتح فارس/١٦٥ وما بعدها. الأحواز.
(٣٩) الطبري ٤/١٨٣ .

الوقت المناسب قد فات فتجمع في (بيروذ) جمع عظيم من الناس ليكيدوا للمسلمين وليصيبوا منهم عورة، ولم يشكوا في واحدة من اثنتين[٤٠].

حشد أبو موسى الاشعري قواته لمهاجمة «بيروذ» في شهر رمضان/سنة ٢٣ هـ، ثم خرج اليها، فوجد فيها « أهل النجدات» وقد جمعوا جموعهم. والتحم العرب بحشود العدو في ساحة واسعة بين نهر تيري[٤١] ومناذر[٤٢].

بدأ القتال أهل المبارزة فلما حمي الوطيس، تقدم المهاجر بن زياد الحارثي «وقد تحنط واستقتل»[٤٣]، وكان صائماً، فقال لأبي موسى « أقسم على كل صائم لما رجع فأفطر»[٤٤] وانما أراد بذلك توجيه اخيه الربيع بن زياد الحارثي عنه لئلا يمنعه من الاستقتال. فأمر أبو موسى فأفطر الجميع، بينما تقدم المهاجر بن زياد الحارثي، فقاتل قتال الرجال في مثل هذه المواقع، حتى استشهد ، فلما جاؤوا به شهيداً، اشتد جزع الربيع على أخيه المهاجر ، فَرَقَّ ابو موسى للربيع للذي رآه دخله من مصاب أخيه، فاستخلفه على الجند، وخرج أبو موسى الاشعري حتى بلغ

---

(٤٠) الطبري ٤/١٨٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ص ١٣٢ .

(٤١) نهر تيري: بلد من نواحي الاحواز. ونهر يجري فيها معجم البلدان ٥/٣١٩ .

(٤٢) مناذر: اسم عربي جمع (منذر)، وهما بلدتان بنواحي الاحواز مناذر الكبرى، ومناذر الصفرى(٤٣-٤٤)الطبقات الكبرى، ٦/١١٠ .

اصبهان، فلقي بها جنود أهل العراق[٤٥] محاصري (جي)، ثم انصرف الى البصرة بعد ظفره.

واضح تماماً ان الربيع بن زياد الحارثي، تولى امرة الجيش، الذي عهد له بفتح «بيروذ» وقد فتح الله له باب النصر على «أهل بيروذ من نهري تيري»[٤٦] وأخذ ما كان معهم من السبي[٤٧].

فتح مناذر

ومناذر هي: «مناذر الكبرى» و «مناذر الصغرى» بلدتان بنواحي الاحواز، وقيل هما كورتان من كور الاحواز[٤٨] تم فتحهما، وتحريرهما على يد الربيع بن زياد الحارثي، كما ذكر البلاذري، قال: «واستخلف ابو موسى الاشعري الربيع بن زياد على مناذر، وسار الى السوس، ففتح الربيع مناذر عنوة، فقتل المقاتلة وسبى الذرية وصارت مناذر الكبرى، والصغرى في ايدي المسلمين... وقال قوم:

---

(٤٥) في الطبري وغيره من المصادر مصطلح « أهل البصرة» ، أو «أهل الكوفه» وأنا اميل الى استعمال مصطلح « أهل العراق » لأن المقصود بـ (أهل البصرة) العرب الذين تجمعوا في معسكر البصرة.
(٤٦) الطبري ٤/١٨٤ .
(٤٧) نفس المصدر .
(٤٨) ياقوت، معجم البلدان ٥/١٩٩ .
البلاذري ، فتوح البلدان/٤٦٥ .

ان عمر كتب الى أبي موسى وهو محاصر مناذر يأمره أن يخلف عليها ويسير الى السوس، فخلف الربيع بن زياد[٤٩]».

ولابد من الاشارة هنا، الى الفطنة العسكرية، للربيع بن زياد الحارثي، فقد وجد هذا القائد ان منطقة الاحواز، تكثر فيها المياه والمستنقعات، فهي منطقة غير ملائمة لحركة المشاة، فاستبدل بهم الفرسان، كما وجد من السهولة فتح مدن هذه المنطقة بخسائر وتضحيات أقل لو لجأ الى أسلوب الحصار، فاعتمده، فكانت المدن تحاصر، ثم ما تلبث ان تطلب الصلح: وعلى وفق شروط، ترضي الطرفين[٥٠].

اتمام فتح سجستان على يد الربيع

سجستان بلاد واسعة، وهي على التخوم بين فارس وكابل. أوردها ياقوت في معجمه فقال: «هي ناحية كبيرة وولاية واسعة، مدينتها زرنج وبينها وبين هراة ثمانون فرسخاً، وهي جنوبي هراة وارضها كلها رملة سبخة والرياح فيها لا تسكن ابداً ولا تزال شديدة تدير رحيهم وطحنهم كله على تلك الرحي... وبها نخيل ولا يقع بها الثلج وهي ارض سهلة لا يرى فيها جبل»[٥١].

---

(٤٩) فتوح البلدان/٤٦٥ .
(٥٠) راجع: فتوح البلدان ٥٠٣/٣ وما بعدها.
(٥١) معجم البلدان ١٩١/٣ .

ومعظم أهلها من التاجك[٥٢] ونجد فيهم ايضا البلوجيين والقاينيين. وقد ازدهرت النصرانية في صورتها النسطورية في سجستان ، بل ان سجستان أصبحت ثغراً لا سقفية . وتعرضت سجستان الى غزو الساسانيين واضطهادهم أكثر من مرة، مما جعل السكان فيها، يحاولون اكثر من مرة التخلص من التسلط الفارسي.

ولسجستان من المدن: زالق، وكركوية، وهيوم، وزنج وبست[٥٣].

بدأ تحرير العرب لسجستان في خلافة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣ هـ) مهندس الدولة العربية وباني مجدها[٥٤]. عندما هاجم عاصم بن عمرو وعبدالله بن عمير البلاد، وحاصرا «زرنج»[٥٥] ـ قصبة سجستان القديمة ـ ثم عقد أهل سجستان آخر الامر صلحاً مع العرب، فرض عليهم أن يؤدوا لهم الخراج.

وفي عام ٣٠هـ أنفذ القائد العربي، الذي كان يضرب

---

(٥٢) راجع: بوخنر، سجستان، ٢٨٥/١١. دائرة المعارف الاسلامية .

(٥٣) معجم البلدان ١٩١/٣ .

(٥٤) الطبري ١٨٠/٤ . بوخنر ٢٨٥/١١ (دائرة المعارف الاسلامية).

(٥٥) زرنج: بلد مشهور ببلاد ما وراء النهر بعد جوجند من اعمال تركستان. راجع ايضا: بارتولد ، تركستان، ص ٣٤٠ .

خيام معسكره في كرمان، الربيع بن زياد الحارثي الى سجستان، واجتاز الربيع الصحراء التي بين كرمان وسجستان[٥٦] وبلغ (زالق)[٥٧] التي وصفت بأنها حصن على مسيرة خمسة فراسخ من تخوم سجستان، وقد استولى الربيع على الحصن، ثم توغل في سيره فأخضع ناحيتين أخريين: كركويه[٥٨] وهيسون[٥٩]، دون أن يريق دماً: أو يضطهد أحداً، وعاد الى زالق، ثم خرج منها ثانية ليكمل سيطرته على زرنج، وقبل أن يصل الى هذه البلدة استولى على بعض النواحي بعد قتال شديد ومرير، وهذه النواحي هي: زرشت وناشروذ، وشرواذ[٦٠]. ثم حاصر مدينة زرنج بعد ان قاتله اهلها، فصالحوه على ألف وصيف، مع كل وصيف جام من ذهب[٦١].

---

(٥٦) تبلغ سعة هذه الصحراء (المفازة) خمسة وسبعون فرسخاً (فتوح البلدان ٤٨٤).

(٥٧) زالق: من نواحي سجستان،: وهو رستاق كبير، فيه قصور وحصون، افتتحها الربيع في سنة ٣٠ هـ عنوة، واخذ منها عشرة آلاف اسير، معجم البلدان ١٢٧/٣.

(٥٨) مدينة من نواحي سجستان (معجم البلدان ٤٥٣/٤).

(٥٩) هيسون: رستاق بين زالق وزرنج، قادة فتح بلاد فارس/١٦٧.

(٦٠) ناشروذ وشرواذ: ناحيتان بسجستان، لهما ذكر في الفتوح، أرسل عبدالله بن عامر بن كريز الربيع بن زياد الحارثي في سنة ٣٠هـ الى سجستان ففتح ناشروذ وشرواذ وأصاب سبياً كثيراً (معجم البلدان ٢٥١/٥).

(٦١) فتوح البلدان، ٤٨٤ وما بعدها.

قـاد الربيع بن زياد الحـارثي في هذه البلاد ، سلسلة معارك متصلة من مدينـة الى مدينة، ومن قرية الى قرية ، حتى تم له تحرير أراضي سجستان كافة، وكانت ولايتـه سنتين ونصفاً، وكاتبه الحسن البصري[٦٢].

وأوجد العرب في زرنج:، حامية عسكرية ، لحمايـة أمن المنطقة ، لكن يبدو ان المدينة نقضت العهد الذيأبرمته، وهاجموا الحامية، وطردوا جندها. على أن عبدالرحمن بن سمرة، والى سجستان الجديد، عاد واستـولى على البلدة ثانية، وأخضع ايضا (بست)[٦٣] وزابل[٦٤]. وانتهت خلافـة عثمان بن عفان، وحل وال جديد محل عبدالرحمن ، فثارت فتنة في زرنج، وظلت الحال مضطربة في سجستان طيلـة خلافة علي بن أبي طالب الذي بعث عليها عبدالرحمن بن

(٦٢) فتوح البلدان/٤٨٥ .

(٦٣) بست: مدينة بين سجستان وهراة ، من أعمال كابل، وهي كبيرة، كثيرة الانهار والبساتين، وهي من البلاد الحارة المناخ (معجم البلدان ١/٤١٤) .
وفي: تركستان، لبارتولد تفاصيل عنها، تراجع في ص ٣٤٠، ٣٤١، ٤٠٤، ٦١٧ .

(٦٤) زابل: كورة واسعة جنوبي بلخ وطخارستان، قصبتها غزنه. وكان الخليفة عثمان عقد على اهلها عقداً، وهو دون العهد (معجم البلدان ٣/١٢٥).

جزء الطائي فقتل هناك، كما بعث عون بن جعده ابن هبيرة المخزمي فقتل في طريق لعراق، ولما وجه ربعي بن الكاس العنبري في اربعة آلاف مقاتل، «ضبط ربعي البلاد»(٦٥).

ثم لما ولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة في سنة ٤١هـ، أنفذ والي البصره عبدالرحمن بن سمره مـرة أخرى الى سجستان، واخضع هذا القائد العالي الهمة البلاد وتوغل حتى بلغ كابل(٦٦) واخضع ايضا «زابلستـان»(٦٧) وكانت الفتنة قد قامت فيها. وقد حملت هـذه الاعمـال الجليلة الخليفة (معاوية) على أن يقيـم عبدالرحمن أميراً له على سجستان، وبقي عبدالرحمن فيهـا حتى أقام زياد بن أبي سفيان الربيع بن زياد الحارثي في مكانه(٦٨).

---

(٦٥) فتوح البلدان/٤٨٧ وما بعدها.

(٦٦) كابل: ولاية كبيرة ذات مروج بين هندوغزنه، من ثغو طخارستـان ولهـا من المدن: واذان، وخواش وخشى وجزه، وكان خراجها مليـون ونصف درهـم، واهلها مسلمون (معجم البلدان ٤٢٦/٤) راجـع فتـوح البلدان /٤٨٨ ففيه تفاصيل دقيقـة عن منجزات عبدالرحمن بن سمره العسكرية في هذه البلاد.

(٦٧) زابلستان: هي زابل وقد مر ذكرها في الصفحة السابقة.

(٦٨) معجم البلدان ١٩٠/٣ . مادة: (سجستان).

الربيع بن زياد الحارثي، يعيد سيادة العرب ثانية على: كابل، زابلستان، الرخج(٦٩)، بست(٧٠)، بلادالداور(٧١) .

لم تكن ادارة بلاد سجستان من الامور السهلة، فالبلاد واسعة، «كانت سجستان أعظم من خراسان»(٧٢) تحيط بها شعوب وأمم كثيرة وعدد نفوسها كبير، وهم قوم « نُكُر غُدُر» كما وصفهم معاوية ، يعقدون اليوم صلحاً لينقضوه غداً، كلما سنحت لهم الفرصة ، واضطرب امر العرب في بلادهم. فلا عجب والحالة هذه أن أعيد الربيع بن زياد الحارثي لامارة سجستان بعد أن اضطرب حبل الامن فيها، وبعد أن نقضوا عقد الصلح مع العرب، لقد جمع «كابل شاه» حشوده وأخرج من كان من العرب

(٦٩) الزرجج: كورة ومدينة من نواحي كابل (معجم البلدان ٣٨/٣).

(٧٠) بست: من أعمال كابل، مر ذكرها. راجع: معجم البلدان ٤١٤/١.

(٧١) بلاد الداور: وأهلها يسمونها زمنداور، ومعناه ارض الداور: وهي ولاية واسعة ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية زخج وبست والغور. وهي ثغر الغور من ناحية سجستان، ولما فتح عبدالرحمن بن سمرة بن حبيب سجستان في خلافة عثمان سار الى الداور على طريق الزخج فحصرهم في جبل الزون ثم صالحهم (معجم البلدان ٤٣٤/٢).

(٧٢) الطبري ١٨١/٤ .

بكابل، وجاء رتبيل[٧٣] فغلب على زابلستان، والرخج، وبست.

وصل الربيع بن زياد الحارثي الى سجستان، والحالة كما يبدو صعبة الاوضاع، فحشد جنده العرب، لمقاتلة رتبيل ببست، فدحره ثم هزمه، وصار يعقب فلول قواته حتى أتى (الرخج) فبسط سيطرته عليها، ومضى منها ففتح بلاد الداور. وأعاد بذلك سيادة العرب ثانية على هذه المناطق الصعبة المراس. لكنه لم يمكث طويلا في منصبه الجديد (امارة سجستان) فقد عزله زياد بن أبي سفيان، وعين بدلا عنه عبيدالله بن أبي بَكْرَه. فعقد والي سجستان الجديد الصلح مع رتبيل، على ألف ألف درهم[٧٤].

ولم يكن عزل الربيع عن سجستان لضعف في ادارته، أو خلل في واجباته، بل العكس هو الصحيح، فقوة

---

(٧٣) أمير ايراني متمرد (ورتبيل ليس اسم علم وانما هو لقب مثل الاخشيد وغير ذلك من الالقاب) وكان قد غز زابلستان ورخج، وتوغل حتى بلغ بست الا انالربيع بن زياد الحارثي هزمه فيها، ثم خلع زياد بن سفيان الربيع عن سجستان، فعقد الوالي الجديد الذي خلف الربيع، الصلح مع رتبيل، ويبدو ان رتبيل ظل يثير الاضطراب حتى آخر أيامه، وقد توفي في ولاية عبدالعزيز بن عبدالله بن عامر على سجستان (بوخنر، سجستان ٢٨٩/١١) دائرة المعارف الاسلامية.

(٧٤) فتوح البلدان ٤٨٩/٢ .

شخصيته وحنكته أهلته لينقل الى خراسان، كي يعالج وينظم أمر العرب فيها.

خراسان

خراسان: بلاد واسعة الرقعة، تتقاسمها اليوم ثلاث دول: الاتحاد السوفياتي، أفغانستان ، ايران، وهي تشمل جميع الاراضي الواقعة الى الجنوب من نهر جيحون، والى الشمال من هندكوش. وكانت تتبعها، قديماً، من الناحية السياسية بلاد ما وراء النهر(٧٥).

وينقسم الاقليم على أربعة ارباع، هو على العموم بارد. والاقليم كثير الانهار، والينابيع، تعتمد تجارته على الانسجة كما أن فيه معادن كثيرة، كالذهب، وبعض الاحجار الكريمة(٧٦).

والسواد الأعظم من سكان خراسان من أصل آري، لا يختلفون اختلافاً جوهرياً عن جنس التجيك(٧٧)،

---

(٧٥) ايوار، خراسان، ٢٨٢/٨ – دائرة المعارف الاسلامية. راجع ايضا: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان (ليدن – ١٣٠٢) ص ٣٣١ .

(٧٦) معجم البلدان ٣٥١/٢ .
المقدسي، أحسن التقاسيم ٣٢٣ .
ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٣٩ .

(٧٧) فان فلوتن، السيادة العربية ، ص ٤٤ . كرستنسن ، ايران في العهد الساساني، ص ١٤٠ .

اعتنقوا المجوسية الا قلة نادرة من اليهود والنصارى[78] تعتمد حياتهم الاقتصادية على الزراعة، لكنهم خضعوا الى نظام طبقي، اقطاعي صارم في قيوده، سحق حياتهم، فكان كدهم، ومعاشهم يذهب لسد حاجات الطبقات الرفيعة الارستقراطية[79]. لهذا رحب سكان البلاد، بالعرب، لما حملوه لهم من آمال في حياة رغيدة، ومثل جديدة، مثلها الاسلام هذا الترحاب وهذا النصر، علله بعض الاكاسره بسبب «ظلم نوابنا لرعايانا»[80].

وتشمل خراسان من البلاد : نيسابور ، وهراة ، ومرو، وهي كانت قصبتها، وبلخ، وطالقان، ونسا، وأبيورد، وسرخس[81].

فتح خراسان

في عام ٣١هـ سيَّر عبدالله بن عامر بن كريز من فارس وخوزستان جيشاً يقوده الاحنف بن قيس التميمي[82] ففتح

---

(٧٨) نم، ص ١٤٥ .
(٧٩) عن النظام الطبقي البغيض لفارس راجع: رسالة تنسر، ص ٦ .
(٨٠) الظاهري، كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص ٧٢ .
(٨١) معجم البلدان ٢/٣٥٠ .
(٨٢) راجع تفاصيل الفتح في: فتوح البلدان للبلاذري ٣/٥٠٣.

خراســان عــن طريق فهله « پلهو وهي المــوطن الاصلي للفربيين»[٨٣] واستولى على طخارستان[٨٤]، وعقــد شروط الصلح مع بلخ.

لكن خراسان ما لبثت حتى نقضت شروط الصلح ابــان النــزاع بين الخليفــة الراشدي الرابع (علي بن أبي طالب) ومعاوية بن أبي سفيان، وهوجم العرب في نيسابور، ونَصَبَ الصينيون على طخارستان والياً تركياً يخضع لهم. ومع أن الخليفــة الرابع أرســل زياد بن أبي سفيان لضبط شؤون خراسان، الا أن الامور لم تستتب تماماً الا في خلافة معاوية بن أبي سفيــان، الذي ولى عبدالله بن عــامر بن كريز على البصرة وأمره باعادة فتح خراسان، ففتحها. وأقام عبدالله في عام ٤٢هـ قيس بن الهيثم نائباً عنه، ولكنه أنفذ عبدالرحمن بن سمرة، لاعادة فتح بلخ وكابل[٨٥].

(٨٣) ايوار، خراسان ٨/٢٨٤ . دائرة المعارف الاسلامية .
(٨٤) طخارستان: وهي ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد وهي من نواحي خراسان، وهي طخارستان العليــا والسفلى، فالعليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون، وأمــا السفلى فهي أيضا غربي جيحون الا انها ابعد من بلخ. (معجم البلدان ٤/٢٣) وكانت هذه الولاية تمتد في عهــد السيــادة العربيــة من ضفــاف اموداريــا حتى ممرات هندكوش (بارتولد، تركستان/١٤٨) .
(٨٥) بلخ: وهي بكترا عند اليونان ، وهي تقع على الشاطيء الجنوبي لنهــر جيحون، في الســهــل الشمــالي المنبسط

←

« فتحت أكثر بلاد خراسان عنوة أو صلحاً »[٨٦] وقد اشتهر أهلها، بكثرة العصيان، والتمرد[٨٧]، ونقض الصلح[٨٨]،لكنهم ما يلبثوا حتى يعودوا تحت ضغط الظروف الى الطاعة ، الأمر الذي أتعب الولاة العرب، وأربك مسار الحياة السياسية للمنطقة، هذه الحالة هي التي دفعت زياد بن أبيه والربيع بن زياد الحارثي الى التفكير بنقل اعداد كبيرة من العرب للاستقرار والعيش بخراسان، يقول البلاذري «ثم ولى زياد بن أبي سفيان الربيع بن زياد

لجبل بابا وعلى الطريق التجاري الهام الذي يصل الممرات الجبلية بنهر جيحون. وقد كانت بلخ القصبة السياسية لولاية خراسان القديمة ثم اصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان.

عاشت فيها الزرادشتية جنبا الى جنب مع البوذية ، كما كان مع هذين الدينين المانوية والمسيحية النسطورية ومع هذا فقد كانت البوذية هي الغالبة، حتى الفتح العربي، فانتشر الاسلام. في عام ٣٢هـ حررها صخر ابن قيس الاحنف، وفي عام ٥١هـ قمع العرب تمرد طرخان نازك. ويبدو لنا ان قتيبة بن مسلم الباهلي كان أول من وطد سيادة العرب في تلك الربوع.

راجع: دراسة هارتمان، بلخ، ٧٩/٤ . دائرة المعارف الاسلامية.

(٨٦) معجم البلدان، ٣٥٠/٢ .

(٨٧) ايوار، خراسان، ٢٨٥/٨ . دائرة المعارف الاسلامية

(٨٨) البلاذري، فتوح البلدان ، ٥٠٢ وما بعدها.

الحارثي سنة احدى وخمسين خراسان، وحول معه من آهل المصريين زهاء خمسين الفاً بعيالاتهم، وكان فيهم بريرة بن الحُصيب الاسلمي، وكان فيهم أيضا ابو برزة الاسلمي. وأسكنهم دون النهر[٨٩].

لا ريب في ان الوجود العربي في خراسان تعرض أكثر من مرة الى تهديد وخطر جدي من الفرس، والترك، والصين، وكان لابد للعرب من أن يدفعوا ضريبة الحفاظ على وحدة الدولة والامة، بتواجد حاميات عسكرية عربية مستعدة لدعم المجهود الحربي في آسيا الوسطى بعد أن ابتعدت قطعات الجيش كثيراً عن مركز الدولة وحاضرتها. هذه السياسة اشرف عليها الربيع وطبقها وكانت عاملا اساسيا في انتشار العرب واستقرارهم في خراسان حتى بلغوا سبعة واربعين الف مقاتل موزعين على القبائل الآتية:

من أهل العالية[٩٠] ٩٠٠٠

---

(٨٩) فتوح البلدان ٣/٥٠٧ .
الطبري، تاريخ الطبري ٥/٢٢٦ .
الانباري، تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٣٤ .

(٩٠) العالية: اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمايرها الى تهامة فهي العالية، وما كان دون ذلك فهي السافلة . وقال قوم: ما جاوز الرمة الى مكة وهم: عكل، وتيم، وعامر، وغني، وباهلة وطوائف من بني أسد وغطفان، وعجز هوازن، ومحارب كلها، وغطفان كلها (معجم البلدان ٤/٧١).

من بكر بن وائل	٧٠٠٠
من تميم	١٠٠٠٠
من عبدالقيس	٤٠٠٠
من الأزد	١٠٠٠٠
من عرب العراق	٧٠٠٠

أمتلك الربيع بن زياد الحارثي قوة ضاربة، من الجيش فتح بها (بلخ)[٩١] صلحاً، كما فتح قهستان عنوة وأعاد بذلك السلم والاستقرار الى خراسان[٩٢].

وانتشرت قبائل العرب في هذه الربوع، تدافع عن الاسلام، وعن الحياة المستقرة الكريمة لسكان المنطقة، وقد ذُكر منهم: بنو عجل، والاشعريون، وتميم، وبنو ضبة، وخزاعة، وبنو حنيفة، وبنو عبدالقيس، ومذحج، وبنو هلال، والازد[٩٣]، فضلا عن غيرهم من «عرب الشام» و «عرب العراق».

---

(٩١) والظاهر ان عرب خراسان هؤلاء، كونوا في السنين اللاحقة المادة الاساسية ، والقوة الضاربة للثورة العباسية، هذه حقيقة ، تناولها بالدراسة د. فاروق عمر، في اطروحته ، الرصينة الناضجة، للدكتوراه من جامعة لندن «طبيعة الدعوة العباسية ».

(٩٢) اليعقوبي، البلدان ٢٧٣-٢٧٩ .

(٩٣) راجع كتابنا : تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٤٧ .

شخصية الربيع بن زياد الحارثي «كلمة ختامية»

كان الربيع متواضعاً خيراً، ورعاً تقياً، يكفي أن نعلم أن الحسن البصري كان كاتبه بخراسان • جمع الى ورعه، تقواه وصراحته واستقامته[٩٤]، كتب اليه زياد، بعد أن ولاه على خراسان «ان أمير المؤمنين معاوية يأمرني أن اصطفي له كل صفراء (ذهب) وبيضاء (فضه) فاذا أتاك كتابي هذا فانظر ما كان ذهب وفضه فلا تقسمه وأقسم ما سوى ذلك• فرد عليه: اني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين• ثم أمر منادياً فنادى بالناس ان اغدوا على غنائمكم فغدوا فقسمها بينهم[٩٥]•

هذه الحادثة التاريخية تعطينا دليلا واضحاً على أن سياسته الادارية، ادارة حازمة تستهدف مصلحة الناس، قبل أية مصلحة•

وفي عصر الربيع ظهرت طبقة من الأمراء، تنامت ثرواتها بشكل غير متوازن الامر الذي دفع الفاروق عمر بن الخطاب، وفي السنين اللاحقة معاوية بن أبي سفيان، على

---

(٩٤) ابن الاثير، أسد الغابة ٢٠٦/٢ . رقم الترجمة (١٦٢٥) ابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة ٥٠٤/١ رقم الترجمة (٢٥٧٧) .

(٩٥) ابن كثير، البداية والنهاية ٦١/٨. حوادث سنة (٥٣هـ). الاصابة في تمييز الصحابة ٥٠٤/١ .

مشاطرة الامراء ثرواتهم ـ بينما عاش الربيع ومات فقيراً، وهو يتولى أغنى الامصار وأكثرها ثراء[٩٦].

في الجانب العسكري من حياته، كان «الربيع أول من أمر الجند بالتناهد» وذلك لتقوية معنوياتهم واذكاء روح التعاون فيما بينهم.

والظاهر من حروبه، انه كان قائداً يجيد فن الحصار، والحصار لايجيده الا القائد المدرب الذي يتحلى بالضبط المتين، والذي يمتاز بالحذر واليقظة فلا يفسح المجال لعدوه أن يستفيد من المصادر الخارجية لادامة قواته المحصورة بالمواد التموينية وبالاسلحة والعتاد، وبذلك يقوى على اطالة أمد الحصار[٩٧].

وعبوره المفازة[٩٨] بجيوشه، دليل آخر على شدة ضبطه وصبره، كما انه دليل على تحمله المشاق دون كلل ولا ملل، كما انه دليل على تشبعه بروح المباغتة، أهم مبادىء الحرب الحديثة، فقد سلك طريقاً لا يتوقع العدو سلوكها، وبذلك باغت عدوه بالمكان والزمان.

---

(٩٦) الانباري، تاريخ الدولة العربية، ص ٤٦٩ .
(٩٧) راجع معجم البلدان ٣/١٢٧ . مباغتة الربيع لمدينة زالق يوم المهرجان.
(٩٨) راجع: فتوح البلدان/٤٨٤ . «عبور الربيع للمفازة».

وكان لاخلاقه الكريمة وماضيه المجيد أثر حاسم في تعلق جنده به وثقتهم التي لا حدود لها بشخصه، كما كان لذلك أثر حاسم على تعلق رؤسـائه به وثقتهم الكاملة بخططه ، لذلك أوكل له رؤساؤه أمر معالجة اصعب الجبهات الساخنة في اصعب الظروف(٩٩)، فاستطـاع بحكمته، وبعـد نظره التغلـب على تلك الصعـاب، فاستتب امـر (سجستـان) و(خراسان) في عهده ، مما يدل على ان سلوكه العسكري، كان ضمن اطار الاخلاق العربية وتقاليدها ، في التعامل مع الشعوب ، واحترام تقاليدها، وكرامتها(١٠٠).

عاصر الربيع العهـد النبوي، ثم الـراشدي، فالاموي، ولما حلت سنة ثلاث وخمسين الهجرية: كان قد بلغ من العمر ثمانين سنة . وقيل انه خرج في آخر يوم من حياته في ثياب بيض، لأداء الصلاة ، فلما أتمها رفع يده «اللهم ان كان لي عندك خير فاقبضني اليك عاجلا»؟ فاستجـاب الله دعوته ، وحمل الى بيته، فمات هناك سنة خمس وخمسين هـ، مات الانسان الأمير، والامير الانسان(١٠١).

---

(٩٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٠٧ وما بعدها.
(١٠٠) خطاب، قادة فتح بلاد فارس، ١٦٧ .
(١٠١) ابن كثير، البداية والنهاية ، ١٣٠/٧ .
ابن الاثير، اسد الغابة، ٢٠٧/٢ .

طبع بمطابع دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

الغلاف : رياض عبدالكريم

السعر : نصف دينار



بغداد ــ ١٩٩٠

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة